

عصره :

يمكن القول بأن العصر الذى عاش فيه النبأى يعتبر من أشد عصور الحضارة الإنسانية اضطرابا، وأكثرها غرابة .

فمن الناحية السياسية : اتسعت أطراف الدولة اتساعا كبيرا ، باستثناء المنطقة الواقعة بين الشام ومصر ، فقد اقتطعها أهل الغدر ، كما تعددت الأقاليم ، وتغلب ملوك الطرائف : كل على إقليم ، وأصبحت بينهم علاقات المنافسة فى مجال العظمة والأبهة ، واستقدم كل منهم نتيجة ما عقده من معاهدات استهدفت احترام الحدود المهشة ، وعدم التدخل فى الشئون العائلية ، وذلك على الرغم من شدة ملاحظة كل منهم للآخر ، وفتح العين والأذن والأنف رسدا لحركاته ، وإطلاعا على نقائسه وسوءاته ..⁽¹⁵⁾

ويصور المؤرخ الكبير المفروضى هذه الفترة بكلمات تنز بالدمع والعرق ، وتكاد تبلل الورق . يقول : " وقد امتد عصر ملوك الطرائف ما يقرب من قرن ، مملوء بالقهر والحزن فيها استولى (السلانطيون) على مقاليد الرئاسة ، وأداروها قهرا وبلا كياسة ، واستأسد الأعداء المحيطون بأطراف الدولة ، عندما وجدوها شبه منحلة ، كما قدم إلى الديار الشامية عدد كبير من (الفلاتية) ، واستطاعوا فى غياب الوعى أن ينشئوا لهم محمية ، وتصبح لهم عصبية ..

وفى تلك الفترة صدر لكل إقليم بلاط ، برطع فيه المناضق وزاط .. ذلك أن أذن الولاية قد صارت تؤذيها الريح ، ولما ترتاح إلما إلى المديح ..

أما التجار فقد جاوز جشعهم مستوى المقياس ، وكادوا يفترسون بأسعارهم الناس ..

وتنمر أصحاب الحرف بكل ذى حاجة ، وأصبح جل همهم إخراجة ..

أما الفلاحون فقد تشبهوا فى كل شئ بأهل المدن ، ولم يعد عمرو بأقبح من حسن !

وهكذا فإننا نتضرع إلى الله أن يزيل الغمة ، وأن ينقذ برحمته من الغرق سفينة الأمة " ⁽¹⁶⁾